أحمد الشقيري والثورة الجزائرية

أ. مريم صغير

إن عظمة ثورة الفاتح نوفمبر 1954، تعود إلى عظمة رجالها المجاهدين الذين صمموا على تحرير الوطن من حكم الاستعمار الفرنسي الذي بقي متشبثا بأطروحة الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، التي دافع عنها بحل قواه، عسكريا وسياسيا.

وانطلاقا من أن ثورة نوفمبر هي أكبر ثورة عاشها الوطن العربي والإسلامي و الإفريقي خلال القرن العشرين، نموذجا رائدا بالنسبة لحركات التحرر في العالم.

وباعتبار لكفاح المسلح الوسيلة الوحيدة لاسترجاع الاستقلال المغتصب التي لجأ إليها الجزائريون فإنه كان من الضروري الاستمرار في النضال السياسي الذي أثبت من خلاله الرجل الجزائري أنه شخص محنك باستطاعته خوض غماره، فكانت جبهة التحرير الوطني الممثل الحقيقي له، وأمام التحدي الجزائري لفرنسا عسكريا وسياسيا بدأت هذه الأخيرة تشعر أنها بصدد مواجهة قوة شعبية منظمة في الميدانين العسكري والسياسي، ورغم محاولتها طمس هذه الحقيقة المرة عليها وبادعائها أنّ هذه الثورة مجرد لعب صبين والقائمين عليها هم عصابات وقطاع طرق، همهم الوحيد هو السطو على الناس وخلق الفوضى لا أكثر [1].

غير أنها لم تفلح في طرحها هذا، لا عسكريا ولا سياسيا، خاصة بعد أن استطاعت جبهة التحرير الوطني تنظيم نفسها عسكريا انطلاقا من مؤتمر الصومام [2]، وبقي أمام جبهة التحرير الوطني المعترك السياسي، الذي كانت هدف من ورائه إلى تدويل القضية الجزائرية إشعار الأخوة العرب[3] وكل أصدقاء الثورة بحتمية الكفاح والعمل عل تحقيق الاستقلال في إطاره العربي الإسلامي والإفريقي واعتبار لقضية الجزائرية من قضايا العالم التي لا بدّ للرأي العام الدولي الالتفات إليها، وكم هي الدول التي أّيدت وساندت القضية الجزائرية[4]. وكم هي الشخصيات العربية و غير العربية التي ساهمت في نصرة القضية من على المنابر الدولية.

وفي هذا الصدد برزت شخصية عربية مميزة رمت على عاتقها مسؤولية القضية الجزائرية ورأت أنه من الضروري الدفاع على هذا الحق المهضوم، إنه العربي الفلسطيني أحمد الشقيري[5] الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نضعه في خانة أصدقاء القضية الجزائرية التي طرقت كل بيت عربي وأصبحت شغله الشاغل، إنما يعتبر ابنا بارا للجزائر، لأنهن من الرجال العرب الذين حملوا لواء الجهاد بالفكر والقلم ضد الاستعمار الفرنسي، فهو ذلك البطل الذي عاش القضية الجزائرية من الأعماق خاصة وأن أرض فلسطين رأسه كانت هي الأخرى تعيش ظروفا قاسية ومشابهة للجزائر تماما، ولا فرق بالنسبة له بين فلسطين والجزائر،

لذا نقل حربه الضروس ضد الهمجية الفرنسية المسلطة على رقاب الجزائريين بكل حزم وثبات غير أبه بما سينجم عن ذلك ،ورأى في المحافل الدولية الميدان الخصب لهذا الكفاح،فكانت خطبة سيفا مسلطا على رقاب الساسة الفرنسيين نقل بواسطتها معاناة شعب عربي إلى العالم من خلال منابر الأمم المتحدة [6].

لقد أدرك أحمد الشقيري أن استقلال العرب لن يكون كاملا إلا باستقلال فلسطين والجزائر [7]وأن هذا الاستقلال مرهون بمواصلة الجهاد والنضال السياسي ضد الاستعمار، وأنه لا بد من رفع صوت القضية الجزائرية في كل مكان وإطلاع الرأي العام بما يحدث في الجزائر، وما تقوم به الهمجية الفرنسية من أعمال وحشية في حقهم، وكم كانت خطبه الحماسية قوية ومدوية ومركزة من أعلى منبر الأمم المتحدة ليشعر الشعوب الحاضرة بان هناك شعبا عربيا مهضوم الحق هو الشعب الجزائري الذي له من عمر الثورة ثلاث سنين من الكفاح، لقد قال :

" إن الجزائر تشهد على أراضها حربا ضاربة...إن الشعب الجزائري كأي شعب من شعوب الأرض يملك الحق العام في الحرية والسيادة والاستقلال...ومن جهة ثانية فإن وضع فرنسا في الجزائر هو وضع استعماري ولا تستطيع أية فصاحة جدلية أن تدافع عن هذا الوضع الاستعماري مهما أوتيت من قدرة وخبرة ..."[8].

وبالتالي فإن ظروف تدويل القضية لجزائرية كانت نتيجة للعمل الجبار الذي قامت به جبهة التحرير الوطني في الداخل والخارج وعملت على خلق المناخ الملائم لذلك [9] وهو الأمر الذي دفع بأحمد الشقيري إلى إبراز القضية الجزائرية وطرح خلفياتها،والذي تولد عنه ردود أفعال سلبية من طرف حماة الفكر الاستعماري في القرن العشرين [10]، فكان حقا صاحب قضية بدون منازع، ترك بصماته في سجل الأمة العربية قاطبة [11].

لقد أدرك أن الاستقلال العرب لن يكون ، إلا باستقلال فلسطين والجزائر ، غون هذا الاستقلال مرهون بالجهاد و النضال ضد الاستعمار وأنه لا بد من رفع صوت العروبة مدويا في كل مكان ،وكم كانت خطبه الحماسية الرنانة قوية وثاقية، من أعلى منبر الأمم المتحدة ليحسس الشعوب الحاضرة أن هناك شعبا عربيا هو الشعب الجزائري وله عمر الثورة ثلاث سنين كان قد أعلنها حربا أبدية ضد أعتى قوة في القرن العشرين ألا وهي فرنسا.

لقد أثبت شهيد القضية العربية أحمد الشقيري أنه لم يعش لفلسطين وحدها، إنما كانت القضية الجزائرية هي الأخرى في وجدانه، ويعز عليه أن يرى إخوانه العرب في الجزائر يعذبون وتسفك دماؤهم وتنتهك أعراضهم من طرف قوة استعمارية يرى أنها قد انحطت إلى أسفل السافلين، وابتعدت عن كل مقومات الأخلاق

و الإنسانية، فكان لزاما عليه أن يواجهها بفكرة، ويساند إخوانه في كفاحهم المرير ضد فرنسا وحلفائها. وانطلاقا من هذه المعطيات فإنه من الضروري إعادة الاعتبار للساسة والمثقفين وكل الشخصيات العربية التي وقفت مع الشعب الجزائري في محنته وساعدته ماديا ومعنويا من أجل استرجاع استقلاله المسلوب .

كما انه حان الوقت للتطرق إلى هذه المواضيع ذات الصلة بتاريخ ثورة أول نوفمبر المباركة وهذا يعود في نظرنا للأسباب التالية:

خلو المكتبة الجزائرية من أي عمل تناول إسهامات العرب في الثورة الجزائرية وبالتحديد تدويل القضية الجزائرية وخلفياته عدا العمل الذي قامت به دار العودة اللبنانية والمتمثل في جمع بعض خطب أحمد الشقيري عن القضية الجزائرية .

وكذلك الرغبة الملحة في المساهمة في إبراز عظمة قضية الشعب الجزائري و تسليط الضوء على عمق الثورة الجزائرية في الكيان العربي، وأنها كانت الشغل الشاغل بالنسبة له بعد أن حققت تونس والمغرب الأقصى استقلالهما عام 1956.

إلى جانب محاولة الكشف عن إيمان الأمة العربية بالقضية الجزائرية، وأنها جزء لا يتجزأ منها، وبالتالي فالنضال أصبح

أكثر من ضروري بالنسبة لأبناء هذه الأمة على شاكلة احمد الشقيري وميشال عفلق وجمال عبد الناصر وغيرهم .

وكذلك إبراز تلاحم الفكر الاستعماري لدى الدول الغربية في مساندتها لموقف فرنسا ضد القضية الجزائرية، حتى وإن كانت هي صاحبة فكرة تقرير المصير، وهذا ما أكده الموقف الأمريكي والبريطاني على حد سواء.

كما أن تاريخ الثورة لم ينل حقه في الكتابة التاريخية، وما كتبه الفرنسيون فإنه بعيد في جوهره كل البعد عن الموضوعية ، فجاء خدمة للوطن الأم فرنسا فقط.

أما ما تناولته الأفلام الجزائرية ما زال منحلا ولم يف حق الثورة، أما الأفلام العربية الأخرى فإنها أهملت ولحد كبير تاريخ الثورة وبالتالي لم تعطه حقه هي الأخرى.

الهوامش

1 -التصريحات التي نشرت في صدى الجزائر وصدى وهران وبرقية فرنسا وهي كلها ذات توجه استعماري بل هي الصحف الناطقة باسم العمرين الفرنسيين وبتأييد ودعم منها ،ومن أبرز هذه التصريحات ما قاله وزير الداخلية آنذاك فرانسوا ميتيران الذي أصبح فيما بعد رئيس الجمهورية الفرنسية .

2 -يذكر المجاهد بن طوبال وهو احد المشاركين الفعلين في مؤتمر الصومام أن أرضيته جاء بها عبان رمضان وفيها تم تقسيم الوطن إلى الولايات عسكرية مع إعطاء الأولوية للسياسي على العسكري .

3 -المقصود هنا هو إشعار الحكومة العربية المستقلة آنذاك و التي كان لها وزن إقليمي وعلى رأسها مصر ، المملكة العربية السعودية ، ليبيا ، العراق وسوريا.

4 -ما عن انفجرت ثورة أول نوفمبر وأخذت منحى جديدا في كفاحها المسلح حتى راحت العديد من الدول التي كابدت الاستعمار تعلن مساندتها للثورة الجزائرية بل طرحت القضية الجزائرية في المحافل الدولية على أنها قضية دولية وقضية شعب يطالب باسترجاع استقلاله وهي دول عديدة من القارة الإفريقية و الآسيوية و القارة الأمريكية .

5 - التعريف بأحمد الشقيري : المولد و النشأة و الوفاة

6 -نشاطاته في هيأة الأمم المتحدة من اجل الجزائر .

7 - في هذه الفترة كانت العديد من الدول العربية قد نالت استقلالها ولم يبق على مستوى الوطن العربي إلا قضيتين شائكتين هما القضية الفلسطينية و القضية الجزائرية التي كانت تختلف نوعا ما من حيث الجوهر عن القضية الفلسطينية لكون القضية الجزائرية كانت تقودها جبهة واحدة هي جبهة التحرير الوطني أما القضية الفلسطينية فكان بها عدة جبهات أو بالأخرى تيارات سياسية متناحرة فيما بينها.

8 - هذه مقتطفات من خطبة في دفاعه عن القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة عام 1957.

لم ينحصر عمل جبهة التحرير الوطني الجزائري في الداخل فحسب بل النضال في الخارج من اجل القضية الجزائرية كان عملا مميزا بالنسبة لها في إعلام الرأي العام الدولي بما يعانيه الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار الفرنسي حول نشاطاتها في الخارج (أنظر المجاهد).

10–حول الدور الأفعال الفرنسية و الأوربية المعادية للعرب والرافضة لفكرة استقلال الجزائر (أنظر بالتفصيل المجاهد).

11 - يمكن أن نضع الأستاذ أحمد الشقيري في خانة المثقفين والسياسيين العرب القلائل الذين تعاملوا مع القضية الجزائرية على أنها قضيتهم الخاصة وهناك من المجاهدين الأحياء أمثال أمحمد يزيد أو عبد الحميد مهري يشهدون شهادة صدق في حق هذه الشخصية العربية النادرة .

إنه الرجل الذي وقف من أعلى منبر الأمم المتحدة يدافع عن القضية الجزائرية، فكان وفيا للعهد الذي قطعه على نفسه وهو النضال إلى أن تستقل الجزائر العربية وشاء القد أن عاش استقلال الجزائر عام 1962 ، لكنه مات قبل أن تتحقق أمنيته ألا وهي استقلال فلسطين العربية، ولكن غدا لناظره قريب.